المحاضرة التاسعة:

الشعر المغاربي الحديث في المغرب الأقصى.

1/- ملامح الحركة الأدبية والفكرية في المغرب الأقصى:

تأخر ظهور النهضة الأدبية في المغرب الأقصى إلى **بدايات القرن العشرين** ، ومرد ذلك إلى تلك العزلة التاريخية التي ضربها المغرب حول نفسه منذ قرون ، ثم جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر فازداد تقوقعا على ذاته، يقول **عبد الله كنون** في كتابه "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث": "والمغرب حتى لما كانت السيادة العثمانية تمد رواقها على تونس والجزائر ، كان خارجا عن هذه الوحدة له كيانه الخاص ودولته المستقلة ، فبينه وبين ما يجد فيها من أحوال حجاب كثيف ، وزاد هذا الحجاب كثافة بعد سقوط الجزائر في قبضة فرنسا سنة 1830م ثمّ تونس سنة 1881فأصبح المغرب في غيبة عما يجري في العالم من تطورات ن برغم ما يربطه به من روابط متينة " .

فالمغرب بعد احتلال الجزائر استشعر الخطر على وجوده ، لكن فرنسا تطلعت إليه كما تطلعت إلى تونس من قبله ، وصار الصراع على أشده بين فرنسا واسبانيا ؛ هذه الأخيرة احتلت مدينة تطوان سنة **1860م** ، ثمّ تلتها الحماية الفرنسية للمغرب في 30 مارس **1912م** .

في هذه الفترة بادر المغرب إلى جملة من **الإصلاحات** على الصعيد العلمي والاجتماعي ، وهي:

1/ البعثات العلمية إلى الخارج : يتمثل ذلك في إيفاد بعثات طلابية نحو الخارج ، فهناك من أوفدوا صوب المشرق وتحديدا **مصر** أيام السلطان محمد الرابع ،فالصلة الثقافية بين مصر والمغرب لم تنقطع حتى في الفترات المظلمة من التاريخ الحديث كما أشارإلى ذلك عبد الله كنون ،ومن أشهر المتخرجين في هذا العهد من مصر الطبيب عبد السلام العلمي والجغرافي أحمد شهبون، وكلاهما ممن أسهم في الحياة العلمية بالتعليم والتأليف ، ويعدان من الطلائع الأولى للنهضة الحديثة ، لأن تعليمهما كان بالعربية .

وبعثات إلى **البلاد الغربية** منها: انجلترا ،فرنسا ، ألمانيا ، بلجيكا ، اسبانيا .. وتوالت البعثات فكانت إحداها تعود لتعقبها أخرى ، وهذا قصد تطوير البلاد بما اكتسبوه من معارف وخبرات ، والملاحظ أن هذه البعثات لم تقم بنشاط مهم في ميدان التعليم ، والسبب في ذلك : أن التعليم الذي يتلقاه غالب أفرادها كان تكوينا عسكريا تدريبيا ، وثانيهما أنه لم ينشأ لهم مدارس ليعلموا فيها ما تلقوه من معارف جديدة.

2/ تنظيم أجهزة الدولة : استحدثت في هذه الفترة وزارة المالية والحربية والعدل والخارجية ، ولتكوين جيش قوي ومنظم استقدمت الوزارة عددا من الضباط الأجانب ، كما أنشأت معملا لتزويد الجيش بما يحتاج إليه من عتاد ، والقيام بإصلاحات تمس جهاز الإدارة ، لتحويله من جهاز قديم إلى جهاز جديد متلائم مع روح العصر .

3/ إنشاء المطابع : للمطبعة دورها في نشر المعرفة ،ولقد دخلت الطباعة المغرب لأول مرة عن طريق **مصر**،وقصة دخولها شيقة " فإن السيد الطيب الروداني قاضي (تارودانت) رآها بمصر فأعجبته ، وكان ذهب إلى الحج ، فاقتنى آلتها وتعاقد مع فني مصري للعمل يها ، فصحبه إلى المغرب ، ولما رأى أنّ الدولة أحقّ بها أهداها للسلطان

محمد الرّابع فقبلها منه وأكرمه بأن ولاه عليها ، وشرع في طبع الكتب المهمة وخاصة الكتب الدراسيّة مما يستعمل في القرويين وفروعها"... ، وانتشر **فن الطباعة** بعد ذلك و اقتنى عدد من الميسورين مطابع خاصة عرفت بالمطابع الفاسية ؛ لصدورها ببلاد فاس ، ولم يقتصر نشاط هذه المطابع على نشر الكتب المدرسية ؛ بل شمل نشاطها طباعة الكتب الشرعية واللغوية والأدبية وغيرها من الفنون والعلوم ، وإعادة بعث الكتب التراثية.

4/ إنشاء الصحف والمجلات: ظهرت أول جريدة مغربية باسم **المغرب** سنة1889م بمدينة طنجة ، وهي جريدة أسبوعية حرة، صدرت عن بعض اللبنانيين ، سرعان ما توقفت عن الصدور ، ثم توالت من بعدها جرائد متنوعة على يد اللبنانيين ، كجريدة المغرب الأقصى سنة 1900م ، وجريدة السعادة سنة 1905م، ثم مجلة الصباح في 1906م، وجريدة لسان المغرب في 1907 م.

وعلى الصعيد **الأدبي** ، ظلت القصيدة **تقليدية** الطابع من حيث الصياغة والموضوعات ، ولم يرتق الأدباء في أعمالهم إلى مستوى التجديد والابتكار. وانحصر التأليف غالبا على الموضوعات **الدينية والفقهية واللغوية** مما يمت بصلة لتلك **الدروس** التي يتلقاها الطلبة في جامع القرويين وغيره من المعاهد الدينية، يقول **يوسف ناوري** في الجزء الاول من كتابه **الشعر الحديث في المغرب العربي:**" بنت الثقافة المغربية تصورا للشعر من خلال الوضع الاعتباري للشاعر في الحياة **المجتمعية و الثقافية**،فقد نظر إلى الشعر من خلال العناصر المهيمنة على الثقافة الدينية في المغرب حيث اعتبر ممارسة ملحقة بما تحتاجه الثقافة من فقه وعلوم دينية...لهذا لم يتجاوز الشعر العتبة الاولى في سلم العلوم،كما عد آلة وضعت لخدمتها حتى توارى الشاعر **خلف** الفقيه

لمطلب اجتماعي". وهذا ما سنلاحظه في المراحل الاولى لتطور المشهد الشعري المغربي.

2/ – مراحل تطور الشعر المغربي الحديث:

شهد تاريخ حركة الشعر المغربي الحديث **أربع مراحل أساسية**، اكتسب فيها مفهوم الشعر عدة صور وأشكال في تاريخ حركة الشعر المغربي الحديث، و في كل مرحلة من هذه المراحل كان الشعر يكتسب فيها مفهوماً خاصاً، راح يتطور حسب تطور وعي الإنسان المغربي بفضل التقدم الفكري والثقافي والأدبي، ونوجز هذه المراحل في ما يلي:

1– مرحلة الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين:

لقد عرفت هذه المرحلة شعراء تركوا لنا دواوين شعرية ضخمة تناولت مختلف الأغراض المألوفة،غير أن هذه الكثرة من الشعراء والدواوين الشعرية لا تكشف عن تصور مقبول وواضح نحو عملية الإبداع الشعري، إذ غاب مفهوم الشعر بمعناه الفني وكان يغلب عليه **التقليد وشعر المناسبات** ،ومعنى هذا أن الصبغة الانفعالية التي تعكس معاناة الذات الشاعرة وعذاباتها منعدمة في هذا الإنتاج، وإنما كانوا ينظمون و يتمثلون الماضي شكلا ومضمونا ،يقول **عبد الله كنون:** "بقي المغرب خلال النصف الثاني من القرن الماضي و أوائل القرن الحالي يتمثل **الثقافة القديمة** بعيدا عن كل تيار فكري جديد، في حين أن غيره من البلاد العربية لاسيما الشرقية كمصر والشام و العراق كانت تشهد قيام حركة علمية أدبية نشيطة...،فإن كان تاريخ نهضة الادب العربي في الشرق يبدأ في منتصف القرن التاسع عشر فإنه في المغرب **قد تأخر**إلى ماقبل نشوب الحرب العالمية الأولى بقليل".

لقد تميزت بداية الشعر الحديث بقصائد **استبقت عهد الحماية** بتمثلها للاحداث الطارئة ومجرياتها في المغرب على الطريقة الموروثة في النظم و عادة البحث عن العناصر البديعية والمحسنات اللفظية...،وصاحب **توقيع عقد الحماية** بداية مرحلة ثانية للشعر المغربي، وقد كان إيذانا حقيقيا بتبدل الرؤية إلى ممارسة الشعر بسبب التأثير الذي جاء به التعليم الحديث و الاصلاح السلفي الديني و النهضة المشرقيةو الحياة السياسية المجتمعية المستجددة بظروف الاستعمار وإرادة الاصلاح...

وقد تباينت **الموضوعات** التي تناولها الشعراء في فترة الحماية الفرنسية من الدعوة إلى الإصلاح الديني والنهوض بالحياة الأخلاقية والتربوية للمجتمع ، والحثّ على النهضة العلمية والتطور الحضاري ، ووصف بعض المنشآت والمكتشفات ؛ خاصة تلك الموجودة في البلاد الأوربيّة ، إلى الدعوة على الثّورة ضد العدو الفرنسي والتحرر من أسره ، أو التعبير عن بعض القضايا والأحداث السياسية سواء في بلادهم أو بلاد المسلمين مشرقا ومغربا ...

ومن أوائل هذه الأصوات نذكر: أبو عبد الله محمد السليماني الغريسي (أصله من (غريس) بالجزائر) الفاسي. ومن شعره الإصلاحي الوطني الذي به يشحذ الهمم ، ويدعو شعبه للاستفاقة من غفلته ، وينعى على العلماء تقاعسهم وعجزهم وتركهم لكتاب الله وسنة نبيّه المصطفى واتباعهم للغرب في كل صغيرة وكبيرة ، حتّى صار حاضرهم إلى خزي وهوان ، يقول في قصيدته " حماة الدين " :

دعيني من مراشفة الرّضاب * وعدّي عن ثناياك العذاب

وعاطيني صريح النُصح صَرْفًا * فعِزُّ الدّينِ آذنَ بانسحابِ

وخلّي عنكِ أيّامَ التَّصابي * فتلكَ خديعةُ الغضِّ الشّبابِ

فلا مدحٌ يصيخُ إليه سمعي * ولا غزلٌ لديَّ بمستطابِ

ولستُ إلى النّسيبِ أهشُّ كلاًّ * فإنّ وراءَهُ لمعُ السّرابِ

ولا الأزهارُ ينعشني شذاها * وكيفَ يعيشُ مهضوم الجنابِ

أليستْ أمتي فقدت حِجاها * وهذا عزُّها وَشْكَ الذهابِ

وهذا صبحُها يحكي مساءً * غزالتُها توارتْ بالحجابِ

حماة الدّينِ هبّوا من سباتِ * فمركزُنا يؤولُ إلى الخرابِ

تركنا الدين خلْفًا لا نبالي * ولم نترك لنا غير انتسابِ

يقول الشّامتون هم أضاعوا * كتابهم ويا حسنَ الكتابِ

أما ترك الرّسولُ لنا وصايا * تقود المسلمين إلى الصوابِ

فطال العهدُ واخترنا سواها * ويا لحيائنا يومَ الحسابِ

أما الشاعر أحمد النّميشي ، وهو من مواليد فاس سنة 1308 هـ/ 1890م، فنراه يحثّ شباب أمته على طلب العلم ، حتى يبلغ أسمى المعالي ، ويدعوه في نفس الوقت إلى الاستمساك بحبل الله المتين ، والعمل بأوامره وتوجيهاته ، فيقول:

العلم أجل حليةِ الإنسانِ * فاسعوا إليهِ معاشرَ الشّبانِ

وردّوا بشوقٍ مترعاتٍ حياضُهً * متسابقينَ تسابقَ الظمآنِ

واسعوا بإسراعٍ لقطفِ ثماره * من قبل فوتِ الوقتِ والإبانِ

وتنافسوا في نيل كلِّ فضيلةٍ * وتشبّثوا بأوامر القرآن

وعلى عقائدِ دينكم فتحافظوا * إن كنتم تسعون للإيمانِ

كم زلَّ في درك الشقاوةِ مُلحدٌ * ونجا المقرُّ بوحدة الرّحمانِ

فالدين أسّ صلاحنا ونجاحنا * والدين أصل سعادة الأوطان

فهو شاعر ملتزم بالمبادئ الدينية وذهنه منفتح على الجديد، شعره شعر علماء ،حظ الخيال فيه محدود، يهتم فيه بتقريب المعنى إلى الملتقي بلفظ جازل وأسلوب جميل؛فقد اختار الطريقة التقليدية ايقاعا لممارسته الشعرية كغيره من شعراء هذه المرحلة.

و أيضا الشاعر أحمد بن محمد الصبيحي ، وهو من مواليد مدينة سلا (سنة 1300 هـ/1882 م) ، أديب وفقيه ، صاحب ديوان (ورود مغربية) ترك من المؤلفات ما يربو على العشرين كتابا .

له قصيدة وطنية إصلاحية ، يدعو فيها أمته إلى ترك حياة الخمول والكسل ، ويلحّ على استنهاض الهمم وطلب العلم والمعرفة ، والرجوع إلى ديننا الصحيح والعمل بما جاء فيه من أحكام تصلح للدارين ؛ دار المعاش ودار المعاد ، يقول فيها :

بني وطني هبّوا من رقاد * وجدّوا في المعاش وفي المعاد

إلى الدين القويم أخي المعالي * إلى العلمِ المبلِّغ للرشادِ

إلى سعيٍ بذي الدّنيا لِكسبٍ * تزاحم فيه إقدام العبادِ

فلاحٌ في الفلاحة لاحَ لكن * بعلمٍ واختبارٍ واجتهادِ

ولا تنسَ اتِّجارًا واصْطناعا * ونهجًا في مناهجِ الاقتصادِ

فذي أسبابُ حقٍّ في ترقٍ * إلى مرقى السّعادةِ في البلادِ

وأيضا الأديب المفضل أفيلال(ت1304هـ) الذي سجل وقعة تطوان في قصيدته المشهورة، يقول فيها:

يا دهر قل لي علامه * كسرت جمع السلامه

نصبته للدواهي * ولم تخف من ملامه

خفضت قدر مقام * للرفع كان علامه

فالدين يبكي بدمع * يحكيه صوب الغمامه

على مساجد أضحت * تباع فيها المدامه

فالموضوعات التي ألمحنا إليها في هذه الأمثلة متنوعة، تعبر عن الأحداث الكبرى والواقع ، وتصور آمال الشعراء في تغيير حال أمتهم بالجهاد ، وهذه النماذج الشعرية وغيرها كشعر الوزير محمد بن أدريس (1264 هـ) في الحث على الجهاد، وشعر محمدالمشرفي(ت1334هـ) والطاهر الإيفراني(ت1334هـ) حين توالت ارهاصات الحماية الفرنسية.... ،إلى جانب هذا وردت موضوعات الشعر الاخرى التي نقل فيها الشعراء براعتهم الأدبية كالوصف و النسيب و المدح و الهجاء.

والملاحظ في هذه الفترة أن أغلب الشعراء فقهاء ، ومن خريجي جامع القرويين ، لذلك غلبت على أشعارهم **النزعة التقليدية** ، كما أن اللغة رصينة وأصيلة غالبا

لأنهم ينهلون من لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ؛ ولذلك قلما عثرنا على قصائد حديثة متجددة في المبنى والمعنى في المراحل الأولى للشعر المغربي.

وإن استطاعت **الحركة السلفية** خاصة مع مطلع القرن العشرين أن تحدث هزة وخلخلة في مفهوم الشعر، ولكن هذه الهزة أو الخلخلة التي كانت لصالح الحركة نفسها وليس للفن، وامتد تأثير هذه الحركة، وظهر كثير من العلماء الذين تشبعوا بالأفكار الإصلاحية، خاصة أفكار جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، فنتج عن ذلك إقبال الشعراء المغاربة على النظم في **موضوعات** تهم هذا الفكر الإصلاحي، وكثر الشعر الذي يدعو إلى نشر المعارف والعلوم والدعوة إلى تحرير الفكر، وإنشاء المدارس والمعاهد العلمية.

إن الشعر في هذه المرحلة التاريخية – أوائل القرن العشرين – لم يعد مجرد ثقافة مكملة لشخصية العالم أو القاضي، بل أصبح ذا موضوع مستقل نسبياً، هو موضوع الفكر السلفي فالتغير الذي طرأ على مفهوم الشعر ، لم يمس عناصر الفن، ولكنه يمس فقط مجال **موضوعه**، فقد تخلص من الخلط بينه وبين علوم الفقه واللغة والبلاغة، وكذلك من اعتباره مجرد آلة لفهم هذه العلوم، ومن اعتباره ثقافة متممة لثقافة الفقيه أو الكاتب أو القاضي، ولكننا ما زلنا نلاحظ أن الشعر، لم يقترب بعد من عناصر الفن فأغلب الموضوعات التي تناولها هؤلاء الشعراء كان لها ارتباط بالفكر الإصلاحي السائد، فهي وإن حملت جديداً في الموضوعات الشعرية فإن مفهوم الشعر ظل بعيداً عن جوهر عناصر الفن .

2-**مرحلة الثلاثينيات** :ظهر في المغرب مع بداية سنوات الثلاثين من القرن العشرين بعض الشعراء الذين أطلق عليهم **(شعراء الشباب)**، وكان لهؤلاء اتصال بالمدارس الشعرية المشرقية وخاصة المدرسة الإحيائية ، من بينهم:

محمد الحلوي(1922-2004م)، محمد علال الفاسي (1910-1974م/1394هـ) ، محمد ابن براهيم (ت1375هـ) المعروف بشاعر الحمراء والذي ألحقه عبد الله كنون بفجر النهضة لأنه كان ألصق به منه بشعراء الجيل الجديد.يقول **عبدالله كنون** : "فإننا بعد 1930 أصبحنا نواجه جيلا جديدا حقا،لقد استدار الزمان فولى وجهه شطر الشرق ، وكانت حضارة الغرب قد استهوته ،....و بتصفح الآثار و تصنيفها نجد أن الحصاد الأدبي لهذا الجيل أصبح من الغنى و التنوع بحيث يمكن القول أنه استتم العناصر الأولية للأدب الحي، وأنه شق الطريق للحاق بقافلة البعث الأدبي في العالم العربي."

حيث تتضمن ممارسات الشعر الحديث في المغرب لائحة من الأسماء التي اختارت، ويعرض ديوان شاعر الحمراء متنا دالا على حيوية النشاط الشعري، نجد الشاعر **محمد بن إبراهيم** يقول فيه:

أكتم ما بي لو يدوم التكتم ولكنه هم به القلب مفعم

بني وطني إن الشعوب وأهلها قد استيقظت طرا وأنتم نُوّم

وإلى جانب **محمد بن إبراهيم ومحمد بن المختار السوسي** تشكل ممارسات **علال الفاسي ومحمد الحلوي** مسارا تقليديا في تاريخ القصيدة المغربية الحديثة

وكذلك ظهرت في هذه الفترة بالذات، **حركة نقدية** استفادت من التوجيهات النظرية التي كانت سائدة في المشرق العربي، فمن الملاحظ أن كتابات العقاد وطه حسين والرافعي والزيات كانت تصل بكيفية منتظمة إلى الوسط الأدبي المغربي،

وتلقى الصدى الحسن في نفوس المغاربة، مما جعل الحركة الشعرية المغربية والحركة النقدية تأخذان مجرى مغايراً، وكان للأديب و الناقد **محمد بن عباس القباج** فضل السبق في هذا المضمار فإنه اقتحم معركة النقد بمقالاته القيمة التي كانت تنشر بمجلة المغرب وبتأليف كتابه(الأدب العربي في المغرب الأقصى) الذي يعد اللبنة الاولى لدراسة الأدب المغربي الحديث. لقد كشفت الساحة عن صراع حاد بين أنصار المجددين وأنصار المقلدين، ويبدو أن ما كان يعرف بالشعراء الشباب قد أحكموا سيطرتهم على الميدان. وكان وراء اكتساب هذا المفهوم الجديد للشعر أسباب موضوعية، من أهمها:

أ- التطور الذي حدث للبنية الاجتماعية والثقافية والفكرية.

ب- التواصل بين المغرب والمشرق العربي الذي كان قوياً، عن طريق البعثات العلمية والكتب والآلات والصحف.

ج- ظهور حركة نقدية، عملت على نشر بعض المفاهيم في إطار اتجاهات متنوعة ويمكن أن نقسم هذه الدراسات النقدية إلى قسمين قسم كان يهتم بالأدب العربي القديم، وقسم آخر يهتم بالأدب العربي الحديث.

إننا منذ فترة الثلاثينيات نجد أقلاماً جادة تكتب حول أعلام مدرسة النهضة في المشرق، فنقرأ على سبيل المثال دراسات حول شوقي والبارودي وحافظ إبراهيم ،إلى جانب دراسات أخرى حول طه حسين والعقاد والرافعي بعد ذلك تحت اسم (يوم شوقي بفاس) عام 1936م.....

والمهم في هذه الفترة أننا لأول مرة، بدأنا نسمع الحديث عن بعض المصطلحات الخيال الشعري والشعور والإبداع والذات الشاعرة ، والذات الجماعية وما إلى ذلك .

3-**مرحلة الأربعينيات إلى الستينيات وسيادة مفهوم الشعر الوجداني:** اكتسب الشعراء المغاربة، منذ السنوات الأولى من الأربعين، مفاهيم جديدة حول الشعر، تجاوزوا فيه الشعراء في الفترات السابقة، لقد كان هذا المفهوم يستمد مقوماته وأسسه من **المذهب الرومانسي** الذي تأثر به المغاربة في هذه الحقبة التاريخية، وكان مما ساعد على هذا المفهوم مجموعة من الأسباب أهمها:

أ- العنصر الزمني، فمن الملاحظ أن الوعي الأدبي الذي بدأ قبل هذه الفترة وصل في مرحلة الأربعينيات إلى مستوى متقدم .

ب - استمرار احتكاك المغرب بالمشرق على نحو أشد مما جعل الشعراء المغاربة يكتشفون طرقاً جديدة في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ففي هذه الفترة تم التعرف بشكل أفضل وأعمق على المدارس الشعرية الجديدة، مثل أبولو، والمهجر، والديوان.

ج- مواصلة نشر الدراسات الأدبية والنقدية في صور أكثر عمقاً في دراسة القضايا الأدبية والشعرية عبر عديد من الصحف والمجلات.

كان من شأن هذه العوامل كلها أن تعمل على خلق حركة شعرية جديدة غنية في مضامينها وصيغها وعناصرها الفنية، ومن الشعراء الشباب الذين أسهموا في هذه الحركة نجد: **عبدالكريم بن ثابت ، أحمد المجاطي ، عبد المجيد بن جلون، محمد الخمار الكنوني، محمد البوعناني، ومحمد السرغيني،** بالإضافة إلى الشعراء الذين ينتمون إلى الفترة السابقة، وكانت لهم استمراريتهم في هذه الحقبة مثل: **عبد القادر حسن، وعبد**

المالك البلغيثي، ومحمد الحلوي ،حيث وجد هؤلاء الشعراء زاداً لا ينفد في صور الشعر الجديد وصيغها الجديدة كما عند الشابي ، وإيليا أبي ماضي وغيرهم،فتأثروا ببعض ما شاع في المشرق من تجديد واقتربوا من الرومانسيين.

إن الشعر الرومانسي الذي هيمن على هذه الفترة نوعان: نوع يرحل في الأشياء درجة التوحد والذوبان. وهذا النوع يرقى إلى مستوى الشعر الرؤياوي الذي يكشف الأبعاد العميقة في النفس الإنسانية ،ونوع ذاتي يهتم بالنزعات و الميولات الفردية ولا تجاوزها إلى احتواء ذوات الآخرين، وهذا النوع الأخير هو الذي كان سائداً بشكل يلفت النظر.

إن الحركة **الواقعيـة** التي دخلت في صراع حاد ضد **الرومانسـيين** في فترة الأربعينيات، تختلف كل الاختلاف عن التيار الوطني الذي عرفته حقبة الثلاثينيات، فالواقعيون الجدد يعترفون بأن الأدب معاناة قبل كل شيء وأنه تجربة ذاتية، ولكن على الشعراء جعل هذه المعاناة في خدمة قضايا الوطن والوطن يومئذ يئن تحت وطأة ظروف الاستعمار، ففي نظرهم أن الوطن في حاجة إلى من يزيح عنه كابوس العبودية والظلم، لا من يبكي وينتحب ويجتر أوهام الذات. يقول الأستاذ **عبدالله إبراهيم:** "إننا لا نستطيع أن ننتج أدباً مغربياً حياً، إلا إذا أنتجنا أدباً إنسانياً حياً، ولن ننتج هذا الأدب الحي إلا إذا تيقّنا بأن الحقيقة واحدة في الشرق وفي الغرب، وأن الإنسان هو الإنسان في كل مكان".

لقد كسر الشعراء نظام الرتابة الذي كان يأسر مشاعرهم واحساساتهم، وابتعدوا عن التقليد الذي يقتل روح الإبداع في نفس الشاعر، وعملوا على ارتياد عوالم جديدة في اللغة والإيقاع وقبل هذا كله، كانوا مخلصين أوفياء **لتجاربهم الذاتيـة**، مما مكن لهم

الانفلات من تكرار الموضوعات والأشكال، كما كان الشأن بالنسبة للشعراء في الفترات السابقة .

5- **مرحلة الستينيات وما بعدها:** كانت التجربة الشعرية في هذه الفترة **ناضجة في عملية بنائها الفني،** والشعراء الذين يمثلونها كانوا في نفس مستوى الشعراء الرواد في المشرق العربي موضوعا وبناء وأداء. ولقد اقترن اسم كل من **محمد الخمار الكنوني ،وأحمد المجاطي ،ومحمد السرغيني** وغيرهم برواد القصيدة **المعاصرة** بالمغرب في جيل الستينات، وأحدث الشعراء المغاربة – في هذه الفترة المبكرة – خلخلة كبيرة لإقرار تصور مستقبلي لعملية الإبداع الشعري، حيث يقول **محمد بنيس:** " لقد كانت هذه الخلخلة ضرورية لإقرار تصور مستقبلي، ولذلك فإن القطيعة التي أعلنها الشعراء المعاصرون بالمغرب متأثرين بالحركة الشعرية المعاصرة في المشرق العربي لم تكن مشروع نزوة عابرة....بل كانت علامة مضيئة للوعي بدواعي **التغيير والتحول** في زمن لم يعد يستسيغ القناعة والرضى بكل موروث قدسه أعداء الإنسان وحرموا مسه أو محاورته من منظور معاصر". هذه هي صورة الشعر المغربي في فترة الستينيات التي تعد فترة بداية لهذه التجربة الشعرية الجديدة.

– أما بالنسبة **لفترة السبعينات،** فقد عرفت ارتفاعا كميا على مستوى الانتاج الشعري، مع خصوصية إسهام جيل السبعينات في البحث عن كتابة شعرية مغربية جديدة، ومن بين شعرائها **أحمد بنميمون، ومحمد بنيس، عبد الله راجع، محمد الأشعري، وعبد الرفيع جواهري، وإدريس الملياني....** فكل عناوين القصائد والدواوين الشعرية كانت كشف عن الفضاء الرمادي الذي يزداد فيه اللون الرمادي يوماً بعد يوم، حتى يتحول إلى

السواد القائم، فتكتحل العيون بالعمى والموت. إن الشعور بالإحباط، كان قد بدأ قبل هذه الفترة, ولكن وطأته تشتد الآن، مثل كابوس يطوق الأعناق ويخنق الحناجر.

حيث حدث تحول معظم الشعراء من الرومانسية إلى الواقعية الاشتراكية، وفي هذا الصدد " كان الشاعرعبدالله راجع على وعي كبير بتجاربه الشعري وبالإتجاهات و الأجواء الثقافية التي فيها تجاربه تلك، و المتتبع لمساره الشعري يتضح له أنه تحول من الرومانسية إلى الواقعية الاجتماعية ", و نقد عبد الله راجع للحياة و الواقع جعله طويل النفس في قصائده ، يقول الشاعر **عبد الله راجع** في قصيدة بعنوان " أنشودة الخروج من حالات الحصار": نشرت في فمارس 1974م

في الواحدة زوالا مات صديقي بالسكتة

(لم تتوقف رجل في حارتنا)

كان المذياع يشق الجدران الرثة

وعلى الطرف الأيسر من حارتنا كان الحلاق

كالعادة يلقي أول نكتة

فبكيت كثيرا...

كان الشعراء باعتبارهم ضمير الأمة، يعبرون عن **الحزن** الذي ينتابهم، وعن معاناتهم الذاتية التي يفقدون معها إحساسهم بهويتهم الحضارية. فالشعر هو أداة التغيير، والشعراء يتحملون مسؤولية كبرى في خضم هذه الحياة التي لم تعد تؤمن بقيم الإنسان، فعليهم أن يضعوا أنفسهم ولغتهم الشعرية في خدمة المجتمع، إن التغني

بـــالوطن، وبموقـــع ثقافتـــه وحضـــارته، كانـــت ســـمة بـــارزة فـــي شـــعر الســـبعينيات والثمانينيات.حتى سمي شعراء هذه الفترة بشعراء **الشهادة والاستشهاد** كما أطلق عليهم عبد الله راجع(1948–1990م)... هذا الشعر الذي يحمل مواصفات جديدة، تستند إلى معاني إنسانية سامية نجدها عند مجموعة كبيرة من الشعراء، وفي مقدمتهم: **محمد بنيس، ومحمد بنطلحة ومحمد الأشعري وغيرهم** .إذن فالتجربة الشعرية منذ الستينيات إلى اليوم، قدمت الكثير، وما زالت تقدم الكثير في العملية الإبداعية الشعرية، وليس فقط على المستوى القومي، بل أيضاً على المستوى الإنساني.

تحليل نص للشعر في المغرب الأقصى، الشاعر" محمد الحلوي":

من هو محمد عبد الرحمن الحلوي:

هـو شـاعر مغربـي ولـد سـنة 1922 بفـاس ونشـأ بهـا، تلقـى تعليمـه بجامعـة القرويين وتخرج منها سنة 1947، اشتغل مدرساً بالصف الثانوي وعُرف بنشاطه الأدبي السياسي ضد المستعمر مما عرضه للاعتقال سنة 1944 ، من أهم أعماله: "أنغام وأصـداء" سـنة 1965، "شـموع" سـنة 1988، أوراق الخريـف سـنة 1996و مسـرحية أنوال، توفي يوم الجمعة 24 أكتوبر 2004.

وقد عايش خلال شبابه صراع السلفية ضد الانحراف الديني, والصراع السياسي ضد الاستعمار، وكان يعبر عن رأيه بالحرف والكلمة مما جره إلى السجون ومعتقلات التعذيب.

والمطلع على دواوينه يلمس الروح الاصلاحية والثورية؛ فدعوته إلى الاصلاح شملت الدين والاخلاق وكل ما يقيم عود المجتمع المسلم، ومثال ذلك قصيدته "**أمة القرآن**" يقول فيها:

يا أمة القرآن حان الموعد اليوم يومك ليس بعد ولا غد

نادى المؤذن فانفضي عنك الكرى واستقبلي فجرا جديدا يولد

وتجددي فلقد رأيت المجد في هذي الحياة لمن بها يتجدد

وأما عن روحه الثورية فقد ترجمت قصائد كثيرة عن سخطه وغضبه تجاه الظلم والاستبداد وكذا المستعمر الذي احتل بلاده وبلاد المسلمين؛ فشعره حمل النزعة الوطنية والقومية، ولعلنا نقف عند إحدى قصائده ذات البعد القومي؛ فقصيدة :"**الأبابيل**" تكلمت عن القضية الفلسطينية واتخذت من موضوع أطفال الحجارة عنوانا جماليا لها.

نص قصيدة: "الأبابيل" من ديوان "أوراق الخريف":

ثارت بأمر الله لا تتهيب غضبى تزمجر كالرعود وترعب

مثل الأبابيل التي قد أرسلت ترمي سهام الله وهو يصوب

أو كالقضاء إذا تعبأ زحفها لا شيئ يحجز مدّها أو يحجب

خجلت سيوف الهند لما عاينت أحجارها لم بنب منها مضرب

ما للبراعم والقتال وعهدنا أنا نراها في المسارح تلعب؟

ترتج في أرجوحة ومع الدمى تلهو وللنغم المحبب تطرب

ما شأنها للحرب وهي أزاهر فوّاحة ومشاعر لا تتضب

خرجت إلى الدنيا و ملء عيونها دمع وفي أسماعها من يندب

لم يبصروا من حولهم إلا الأسى يمتص أمّا أو يموت به أب

درجوا على الأشواك لم يهنأ لهم عيش ولم يعذب لطفل مشرب

لم يعرفوا الأعياد في أيامهم فحياتهم موت وعيش مجدب

وكأنما ادخروا لآخر ساعة ليتمّ أمر في السماء مغيب

"""""""""""""""""""""""""""

أبت الشهامة في طفولة يعرب أن تستكين وفي الديار معذب

وكأنها في ظلمة الأرحام كا نت للعدو وطرده تتأهب

فأقامت الدنيا على حصياتها ورأت صغارا كالعمالق ترهب

ورأت كتائب سطرت بدمائها ما لا يسطر من يخط ويكتب

في كل معتقل ودار ثورة وبكل منعطف يكبر موكب

وبكل ركن مأتم ومناحة وبكل حي مثخن ومخضب

والله أكبر في المآذن صيحة تذكي المشاعر في القلوب وتلهب

ويهود في دوامة آراؤها في قمع ثورة شعبنا تتشعَّب

لم تجدها آلاتها وعصيّها والعم سام ومن لها يتقرب

وإذا أراد الشعب يوما لم يكن صعبا على أحراره متطلَّب

"""""""""""""""""""""

قصيدة الأبابيل من بين قصائد أخرى كثيرة تناولت القضية الفلسطينية وقضايا الجهاد ضد المستعمر، وأول عتبة في هذه القصيدة تفصح لنا عن عمق إيمان الشاعر بقضية الشعب الفلسطيني، ودعمه القوي لها حتى وصف أولائك الأطفال الفلسطينيين بـ"طير الأبابيل" وتلك الحجارة الصغيرة التي يرميها الأطفال على ضعف في أجسامهم وقوتهم في وجه العدو الصهيوني وكأنها الحجارة النارية التي أرسلها الله على من أراد محاربته(أبرهة الحبشي)، وليست تخفى علينا تفاصيل قصة أبرهة الذي أراد هدم بيت الله الحرام (الكعبة) فحشد جيشا مع مجموعة من الفيلة حتى لا يستطيع ردعه أحد، فلما وصل بجيشه إلى تخوم الكعبة جاءه العقاب قاسيا وقاطعا من الله، وقد تمثل في طير الأبابيل التي تحمل حجارة نارية صغيرة لكنها في فعلها فاقت التصور؛ حيث كانت تنزل على الفارس تنخر جسمه من رأسه وحتى تخترق فرسه، وأُهلك هذا الجيش الذي أراد حرب الله سبحانه وتعالى بأصغر وأهون الحجارة، ولأنها كانت مؤيدة بنصر الله أهلكت جيشا عظيما في دقائق قليلة.

فالعبرة من القصة وعلاقتها بالعنوان أن أطفال فلسطين على ضعفهم أمام عتاد العدو وجبروته إلا أنهم مؤيدون من الله؛ لأنهم يدافعون عن عرضهم وأرضهم و يجاهدون بما استطاعوا:

ثارت بأمر الله لا تتهيب غضبى تزمجر كالرعود وترعب

مثل الأبابيل التي قد أرسلت ترمي سهام الله وهو يصوب

و قد كان لحجارتهم الأثر العجيب الذي جعل اليهود يهربون ويختبؤون في دباباتهم خوفا من أطفال صغار لم يرهبهم من ذلك العتاد شئ.

أبت الشهامة في طفولة يعرب أن تستكين وفي الديار معذب

وكأنها في ظلمة الأرحام كا نت للعدو وطرده تتأهب

فأقامت الدنيا على حصياتها ورأت صغارا كالعمالق ترهب

فهم باختصار طير الأبابيل التي سوف تهزم العدو، هكذا صورهم الشاعر وقد وفق في اختيار عنوان القصيدة التي تكلمت عن أزمة الفلسطينين الذين خذلهم إخوانهم فوقفوا لوحدهم يواجهون الظلم وتحالف الغرب عليهم، وكذلك تواطؤ الأمم المتحدة مع اليهود الغاصبين. لكن كل ذلك لم يثن من عزمهم في طرد المستعمر وتطهير القدس من نجس اليهود.

وأسلوب الشاعر في هذه القصيدة قوي رصين، يختار ألفاظه ويؤلف عباراته على نمط القصيدة التقليدية، وهو أسلوبه في كل شعره؛ حيث يميل إلى أسلوب القصيدة التقليدية في الألفاظ والمعاني، لكن موضوعاته جديدة تناولت راهن الأمة العربية وتطرقت إلى موضوعات السياسة والاصلاح، ما جعل في قصائده بعض الملامح التجديدية؛ مثل الإيحائية التي رأيناها في عنوان القصيدة المدروسة.

وقد كانت الروح الثورية أيضا سببا في ظهور ملامح التجديد على بعض قصائده، وإن لم تصل إلى رومنسية الشابي فقصيدته في أطفال الحجارة حملت روحا تجديدية أيضا تعارض قصيدة "إرادة الحياة"، يقول في هذه القصيدة"المجد للحجر":

إذا الشعب يوما أراد الحياة رمى الطفل أعداءه بالحجر

و من كره القيد لم يكترث إذا ما تحدى بوخز الإبـر

وقدّم للمـــوت أبنـــاءه قرابين تقهــر كل خطـر

تشق الفضـــاء حناجرها وتزحف في سيرها كالقدر